التأويل النحوي في كتاب شرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) دراسة تطبيقية

المدرس الدكتور
فضيلة عبوسي محسن العامري
جامعة الكوفة- كلية الفقه

التأويل النحوي في كتاب شرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) دراسة تطبيقية

المدرس الدكتور
فضيلة عبوسي محسن العامري
جامعة الكوفة- كلية الفقه

المقدمة:

تمثل القاعدة المستوى اللغوي النموذجي، وأن ما يستشهد به من أبيات قد يطابق القاعدة، أو يختلف عنها في قليل أو كثير، وما يختلف عن القاعدة يؤول بألفاظ مختلفة منها الوجه والحجة والحذف والتقدير والحمل على القصة والحديث والحذف والتقدير، وللوقوف عند هذه التسميات ودلالتها النحوية فقد وقع الاختيار على البحث الذي جاء تحت عنوان (التأويل النحوي في كتاب شرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس(ت٣٣٨هـ) دراسة تطبيقية)، وقد تألف من مبحثين تضمن المبحث الأول فقرتين الأولى: التأويل النحوي في اللغة والاصطلاح مفهوماً، والفقرة الثانية تضمنت التعريف بأبي جعفر النحاس، أما المبحث الثاني فقد خصص لدراسة التأويل النحوي في كتاب شرح أبيات سيبويه والبحث في منهجه، ثم ختم البحث بأهم النتائج التي تلتها قائمة المصادر

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في تأويل ومضة من ومضات أبي جعفر النحاس في شرح أبيات سيبويه، ولا أدعي الكمال فإن الكمال لله وحده عليه توكلت وإليه أنيب فإنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول

أولاً: التأويل النحوي في اللغة والاصطلاح مفهوماً.

التأويل في اللغة بمعنى الرجوع والرد من ((آل يؤول أَوْلاً وأُوُولاً وقد أُلْتُهُ أَي

صببت بعضه على بعض حتى آل وطاب وخَثُر وآل رَجَع يقال طبخت الشراب فآل إلى قَدْر كذا وكذا أي رجع وآل الشيءُ مآ لاً نَقَص كقولهم حار مَحاراً وأُلْتُ الشيءَ أَوْلاً وإِيالاً أَصلحته وسُسْتُه وإنه لآيل مال وأَيِّل مال أَي حَسَنُ القيام عليه))[١]، ثم انتقلت دلالة الكلمة من الدلالة الحسية الى الدلالة الذهنية كما في قول الأعشى:-

على أَنها كانت تَأَوُّلُ حُبِّها تَأَوُّلُ رِبْعِيِّ السِّقاب فأَصْحَبا[٢]

ويأتي التأويل بمعنى التحويل والتغير من حال الى حال قولهم ((آل اللبنُ إِيالاً تَخَثَّر فاجتمع بعضه إِلى بعض، وآل الدُّهْن والقَطِران والعسل يؤول أَوْلاً وإِيالاً خَثُر))[٣].

وورد التأويل بمعنى التدبير والتحكم في الشيء وادارة الأمور واصلاحها في قولهم ((آل المَلك رَعِيَّته يَؤُولُها أَوْلاً وإِيالاً ساسهم وأَحسن سياستهم وَوَلِيَ عليهم وأُلْتُ الإِبلَ أَيْلاً وإِيالاً سُقْتها، وأُلْتُ الإِبل صَرَرْتها فإذا بَلَغَتْ إِلى الحَلْب حلبتها))[٤]، وتوسعت دلالة التأويل الذهنية لتشمل الخطاب، من ذلك قول الرسول ﷺ في دعوته لابن عباس ((اللهم فَقِّهه في الدين وعَلِّمه التَّأْويل))[٥]، ومنه حديث عائشة ((كان رسول الله يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اغفر لي ويتأول القرآن يعني إذا جاء نصر الله والفتح))[٦] وفي حديث الزهري قال فقلت لعُروة ما بالُ عائشةَ تُتِمُّ في السَّفَر (يعني الصلاة)؟ قال تأَوَّلَت كما تأَوَّل عثمانُ))[٧] أَراد بتأويل عثمان ما روي عنه أَنه أَتَمَّ الصلاة بمكة في الحج وذلك أَنه نوى الإِقامة بها[٨].

أما في القرآن الكريم فقد ورد لفظ التأويل في بعض آي القرآن الكريم ومنه قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٩]، وقد اسهم الاختلاف في فهم النص القرآني حمله على غير ظاهره اسهاماً فعالاً، وتبع ذلك كثرة الاختلافات، مما دفع بعض المفسرين في القرن الرابع الى أن يضع تعريفاً

اصطلاحياً للتأويل، ويجعله مخالفاً للتفسير، وقد اشار ابن الأثير الى ذلك مع بيان رأيه قائلاً: ((... وذهب بعضهم في الفرق بين التفسير والتأويل إلى شيء غير مرضي فقال التفسير بيان وضع اللفظ حقيقة كتفسير الصراط بالطريق والتأويل إظهار باطن اللفظ كقوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[١٠] فتفسيره من الرصد يقال رصدته إذا رقبته وتأويله تحذير العباد من تعدي حدود الله ومخالفة أوامره والذي عندي في ذلك أنه أصاب في الآخر ولم يصب في الأول لأن قوله التفسير بيان وضع اللفظ حقيقة لا مستند لجوازه بل التفسير يطلق على بيان وضع اللفظ حقيقة ومجازا لأنه من الفسر وهو الكشف كتفسير الرصد في الآية المشار إليها بالرقبة وتفسيره بالتحذير من تعدي حدود الله ومخالفة أوامره، وأما التأويل فإنه أحد قسمي التفسير وذاك أنه رجوع عن ظاهر اللفظ وهو مشتق من الأول وهو الرجوع يقال آل يؤل إذا رجع وعلى هذا فإن التأويل خاص والتفسير عام فكل تأويل تفسير وليس كل تفسير تأويلا ولهذا يقال تفسير القرآن ومن تفسيره ظاهر وباطن))[١١]، ولابد لنا من الاشارة الى أول تفسير يحمل التأويل عنواناً له هو تفسير الطبري المسمى بـ(جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

أما التأويل عند البلاغيين فقد تحدث عبد القاهر الجرجاني عن توسع مجال التأويل وفائدته قائلاً ((واعلمْ أنَّ الفائدةَ تعظُم في هذا الضَّرب من الكلام إذا أنت أحسنتَ النظرَ فيما ذكرتُ لك من أنك تستطيعُ أن تنقلَ الكلامَ في معناه عن صورةٍ إلى صورةٍ من غير أن تُغيِّر من لفظِه شيئاً أو تحوّلَ كلمةً عن مكانها إلى مكانٍ آخرَ وهو الذي وَسِعَ مجالَ التأويل والتفسير حتى صاروا يتأوَّلون في الكلام الواحد تأويلين أو أكثر ويفسِّرون البيتَ الواحدَ عدّةَ تفاسير وهو على ذاك الطريقُ المُزلَّةُ الذي ورَّط كثيراً من الناس في الهَلَكة. وهو مما يعلمُ به العاقلُ شدَّةَ الحاجة إلى هذا العلم وينكشفُ معه عَوارُ الجاهلِ به ويُفْتضَحُ عنده المُظْهِرُ الغنى عنه. ذاك لأنه قد يُدْفَع إلى الشيءِ لا يصحُّ إلا بتقديرِ غيرِ ما يُريه الظاهر. ثم لا يكونُ له سبيلٌ إلى معرفة ذلك التقدير إذا كان جاهلاً بهذا العلم فيتسكَّع عند ذلك في العَمَى ويقع في

الضَّلال. مثالُ ذلك أنَّ من نظَرَ إلى قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[١٢]. ثم لم يعلمْ أنْ ليس المعنى في " ادعوا " الدعاءَ ولكنِ الذِّكرَ بالاسم كقولك: هو يُدْعى زيداً ويدعى الأميرَ. وأنَّ في الكلام محذوفاً وأنَّ التقديرَ: قُل أدعوه اللهَ أو ادعوه الرحمنَ أياً ما تدعوا فله الأسماءُ الحسنى كان بعُرض أن يقعَ في الشِّرْكِ من حيثُ إنه إنْ جرى في خاطره أنَّ الكلامَ على ظاهره خرجَ ذلك به - ولعياذُ بالله تعالى - إلى إثباتِ مدعوين تعالى عن أن يكونَ له شريك))[١٣].

أما السيوطي فقد أورد الفائدة من التأويل وعلته بعد أن نقل أقوال الآخرين قائلاً: ((... وقال أبو حيان في شرح التسهيل: كلُّ ما كان لغةً لقبيلة قيسَ عليه، وقال أيضاً: إنما يسوغ التأويل إذا كانت الجادّة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادّة فيتأوَّل أما إذا كان لغة طائفة من العرب لم يتكلَّم إلا بها فلا تأويل، ومن ثم رُدَّ تأويل أبي على قولهم: ليس الطيبُ إلا المسكُ على أن فيها ضمير الشأن لأن أبا عمرو نقل أنّ ذلك لغة بني تميم))[١٤].

وقد ذكر البغدادي الاتساع في التأويل قائلاً: ((هذا النوع أعني الاتساع يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظم فيه وبحسب ما تحتمل ألفاظه من المعاني))[١٥].

أما عند النحويين واللغويين فلم نجد نصاً في المصادر القديمة يحدد لفظة التأويل النحوية؛ وذلك لأن ((الكتب التي جمعت من ثناياها أصول النحو وأدلته تكاد تكون خالية إلا من بعض الإشارات الغامضة))[١٦]، وظهر في المصادر التي الفت في القرن الثالث الهجري عنواناً مثل كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة، وفي متون بعض الكتب منها الخصائص لابن جني الذي عرف بالتأويل وهو يتحدث عن الاشتقاق الأكبر قائلاً: ((... وأمّا الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد))[١٧]، في

حين نجد أن ابن جني في كتابه (سر صناعة الاعراب) وفي بعض المواضع منها في حذف نون التوكيد اذ يرجح كثرة الاستعمال ويدعو الى الغاء التأويل قائلاً: ((...وذلك أن التوكيد من مواضع الإطناب والإسهاب ولا يليق به الحذف والاختصار فإذا كان السماع والقياس جميعا يدفعان هذا التأويل وجب إلغاؤه واطراحه والعدول عنه إلى غيره مما قد كثر استعماله ووضح قياسه))[١٨]،أما ابن هشام فقد ذكر أن التأويل ممكن في بعض المواضع دون بعض فمما أمكن فيه قوله تعالى ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾[١٩] إذ لا يستحيل أن يقال لو شارفت فيما مضى أنك تخلف ذرية ضعافا لخفت عليهم لكنك لم تشارف ذلك فيما مضى ومما لا يمكن ذلك فيه قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[٢٠] ونحو ذلك[٢١]، واعترض على بعض التأويلات بقوله ((... وسيبويه رحمه الله تعالى يمنع أن يقال نعم الرجل رجلا زيد وتأولوا فحلا في البيت (بئس الفحل فحلهم فحلا) على أنه حال مؤكدة والشواهد على جواز المسألة كثيرة فلا حاجة إلى التأويل ودخول التمييز في باب نعم وبئس أكثر من دخول الحال))[٢٢]، وذكر التأويل أيضاً وهو يتحدث عن خبر اسم الشرط هو جملة الشرط لا جملة الجواب[٢٣]، أما الرماني فقد ذكر التأويل وهو عن التثنية والجمع التي منها تأويل قوله - عزّ وجل - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ﴾ يونس/٤٢، فجمع على التأويل[٢٤].

أما الزجاجي فقد جمع بين لفظي الوجوه والتأويل في باب واحد في كتابه اللامات، اذ ورد ((باب في تبيين وجوه دخول الألف واللام على الأسماء المشتقة من الأفعال: أحدها أن تكون بتأويل الذي فتحتاج إلى صلة وعائد وتجري في ذلك مجرى الذي ...))[٢٥]، أما ابن عقيل فد تحدث عن التأويل في حالة ورود مخالفة لما ذهب اليه سيبويه كما في (سواك) فإنها لا تخرج عن الظرفية الا في الضرورة الشعرية وهي اسم عند ابن مالك قائلاً ((ومذهب سيبويه والجمهور أنها لا تخرج عن الظرفية إلا في ضرورة الشعر وما استشهد به على

خلاف ذلك يحتمل التأويل))[٢٦]، وتحدث العلائي الدمشقي عن جواز التأويل وعدمه في القسم قائلاً: ((ومن الأصحاب من قطع في قوله والله لأفعلن بأنه يمين فكل حال لا ينفعه فيه التأويل وجعل الخلاف مختصا بقوله بالله بالباء الموحدة لقوة صراحة الواو في القسم وشهرة استعمالها وهذا أقوى أيضا من جهة الإعراب فإنه إذا قال بالله وأردت استعنت ونحو ذلك وابتدأت الكلام كان لكلامه وجه محتمل للتأويل بخلاف ما إذا قال والله بالجر))[٢٧]، ويظهر لنا مما تقدم أن التأويل لم يظهر كمصطلح وانما يذكر كلما صرف اللفظ عن ظاهره الى جانب مصطلحات أخر مثل (الحمل، المجرى، التعليل، الوجه) وغيره مما يصرفون اللفظ عن ظاهره.

على أننا لا نقف على كتاب نحوي يحمل عنوان (التأويل) إلا حديثا.

أما عند المحدثين فقد ظهر مصطلح (التأويل النحوي) عنواناً لبعض الرسائل والأطاريح الجامعية[٢٨]، قد أوجز بعضهم تعريفه بقولهم: ((هو حمل اللفظ على غير ظاهره مفرداً أو جملة أو كلاماً... وهو من الأركان الأساسية التي أسهمت في بناء الهرم النحوي بمختلف جوانبه))[٢٩]، ولعله أراد بالمفرد تأويل بعض الصيغ الصرفية في دلالتها، وبالجملة على المستوى النحوي، وبالكلام على المستوى الدلالي، فكان وصف الهرم النحوي وصفاً دقيقاً للتأويل.

وعرفه باحث آخر بأنه: ((توجيه النصوص والأساليب التي ورد ظاهرها مخالفاً للأحكام والأقيسة التي استنبطها النحاة))[٣٠]، فهو يشير الى مسألة القياس والأحكام النحوية، وما يختلف عن القاعدة النحوية يستطيع اللغوي تأويل هذا الاختلاف بالحذف والزيادة والاستبدال، وتغيير الموقعية.

ثانياً: التعريف بأبي جعفر النحاس.

اسمه ولقبه:

أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المرادي النحاس النحوي

المصري كان من الفضلاء وله مؤلفات منها تفسير القرآن الكريم، وكتاب اعراب القرآن، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب التفاحة في النحو وكتاب في الاشتقاق، وكتاب الوقف والابتداء صغرى وكبرى، وكتاب في شرح المعلقات السبع، وكتاب طبقات الشعراء، وفسر عشرة دواوين وأملاها، وعرف بالصفار أيضاً، والنحاس والصفار كلاهما نسبة الى من يعمل الأواني الصفرية النحاس[٣١].

أخذ النحو عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش النحوي وأبي اسحاق الزجاج وابن الأنباري ونفطويه وأعيان أدباء العراق وكان قد رحل اليهم من مصر.

ولادته ووفاته:

لم تذكر المصادر التي ترجمت له سنة ولادته، أما وفاته فكانت في مصر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وقيل سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، ولوفاته قصة في أن رجلاً دفعه برجله في النيل وهو يقطع بالعروض فقال بعض العوام هذا يسحر النيل فتغلو الأسعار، فدفعه الرجل في النيل، ولم يوقف على خبره[٣٢].

ما قاله النحاس في كتاب شرح أبيات سيبويه.

نقل محقق الكتاب قول أبي جعفر النحاس في حديثه عن الكتاب وطريقة شرحه له قائلاً: ((قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن النحاس المصري: جملة أبيات كتاب سيبويه وهو أبو بشر عمرو بن عثمان مولي بلحرث بن كعب مما جمعه الخليل بن أحمد وأبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وأبي الخطاب الأخفش وغيرهم الف وخمسون بيتاً منها خمسون غير معروفة وسأوجز في شرح معانيها وحل مشكلاتها ولا أخل بمهم من اعرابها وأقسمها أبواباً ليأتلف نظمها ويقرب فهمها والله المرشد للصواب))[٣٣].

المبحث الثاني

التأويل النحوي في شرح كتاب سيبويه لأبي جعفر النحاس

قد ذكرنا في المبحث الأول أن سيبويه لم يستعمل التأويل مصطلحاً في كتابه، لكن من شرح أبيات سيبويه استعمل مصطلح التأويل فضلاً عن ألفاظ أخر منها الوجه ومنها التأويل ومنها التقدير، ولفظة (كما هو معروف)،وعلى لغة من اللغات، وضمير الشأن، والحمل على القصة والحديث، والتقدير الإعرابي وغيرها، وعند النظر في شرح أبيات سيبويه نجد أن ابن النحاس استعمل اسلوباً خلط فيه بين المذهب البصري الذي اعتمد والمذهب الكوفي الذي يسمى بالمذهب البغدادي بعد أن يورد أبيات سيبويه مبتدئاً بعنوان الأبواب التي وردت فيها فنجده:

١- ذكر الوجه في (باب ما يجري من المعتل مجرى غيره من الصحيح)فقال في شرح الشاهد:

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد[٣٤]

فقال ابن النحاس((الوجه أن يقول: ألم يأتك ولكن هذا من لغته أن يقول هو يأتيك كما تقول هو يضربك فحذف الضمة من الياء واسكنها في الجزم فنجد اكتفى بقوله(هذا من لغته) وان كان خلاف القاعدة النحوية فلجأ ابن النحاس الى التأويل في تصحيحها قوله: هو يأتيك[٣٥].

٢- نجده في موضع آخر يقول ابن النحاس ((كان حقه أن يقول)في شرح الأبيات الآتية:

فلو أن واش باليمامة داره وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا[٣٦]

فقال ابن النحاس((وكان حقه أن يقول: واشياً لأن (أنّ) عاملة النصب ولكن لما وجد الياء ساكنة لينة أرسلها على سكونها ولينها)) فقد علل المسألة تعليلاً صوتياً وهو خارج عن القاعدة النحوية.

٣- جعل النون والميم اختيين (تفسير صوتي وليس نحوياً له) في شرح قول الشاعر:

فلن أنفكك أرثي أخاً لي ماجداً جميل المحيا كان لي سنداً ظهراً[٣٧]

فقال: فلن أنفكك فجزم بـ(لن) وانما يفعلون ذلك لأن النون والميم أختان كما قيل في اللغات ولا أدري ماذا يعني في اللغات، وقد استشهد بأبيات منها:

كأني بين خافيتي عقابٍ أصاب حمامة في يوم غينِ

أراد به في يوم غيم وقد يقولون للحية: أيم وأين، وقال الهذلي:

تراه وقد فات الرماةُ كأنه أمام الكلاب مصغي الخد أصلمُ[٣٨]

يرى ابن النحاس أن الدليل على غير ما استدل عليها كما هو معروف أن القاعدة النحوية تقول إن (لن) ناصبة و(لم) جازمة، وهو غير الصفة التي تدل عليها قرينة السياق بين المضاف والمضاف اليه ((يوم غيم) أو (يوم غين) فقد يحملها السامع على التصحيف الذي يقع بين الحروف من الابدال عن طريق الخطأ؛ فيبقى التعليل الذي ذكره ابن النحاس في شرح ابيات سيبويه يفتقر الى الأدلة القاطعة الجازمة.

٤- تأويل الكلمة على غير معنى بقوله عند شرح أبيات سيبويه في (باب كان) في قوله:

إذا كان الشتاء فأدفئوني فأنّ الشيخ يهدمه الشتاء[٣٩]

على معنى اذا جاء الشتاء، ثم يستشهد بقوله عزّ وجل ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ البقرة/٢٨، وقوله تعالى ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً﴾ البقرة/٢٨٢.

٥- وقوله أيضاً في (باب كان) اتيان اسمها نكرة لأن النكرة اشد تمكناً من المعرفة، ومنها قول الشاعر:

أسكران كان ابن المراغة إذ هجا تميماً بأرض الشام أم شاكر[٤٠]

قائلاً بعض العرب وهم بنو دارم وبنو نهشل يقولون: قائم كان عبد الله وكان نائم عبد الله فيجعلون النكرة اسماً والمعرفة خبراً لكان، وإنما يفعلون ذلك لأن النكرة أشد تمكناً من المعرفة، ونرى أن هذا التعليل ليس نحوياً وانما هو تعليل دلالي نحوي.

٦- وقوله في موضع آخر ((برفع الاسم والخبر) على لغة من اللغات بـ(الحمل على القصة والحديث) في شرح قول سيبويه:

إذا ما المرء كان أبوه عبس فحسبك ما تريد من الكلام[٤١]

فرفع الاسم والخبر بكان وتقول: كان زيد قائم، وكان عمرو منطلق، وبنو عبس وبنو أسد وبنو قيس يقولون: كان فلان قائم، وانما يفعلون ذلك على القصة والحديث.

٧- ضمير الشأن.

في قول ابن النحاس ((والشأن كأنك ((اذا قلت كان زيد قائم فمعناه كان زيد من قصته وحديثه وشأنه قائم)) وهذا تقدير اعرابي غريب عن القاعدة النحوية أيضاً.

٨- قوله (هذا حجة مع الحذف).

٩- فقد علق ابن النحاس على قول سيبويه في ((باب الصفة على معنى الحذف وتعدي الفعل)) في قول الشاعر:

لدنٌ بهزّ الكفّ يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب[٤٢]

فهذا حجة لقوله: أخذت هذا الطريق فحذف (في) يريد أن الثعلب عسل في الطريق، والعسلان: مشي في اهتزاز، يقول: يهتز منه كاهتزاز الثعلب إذا مشى، هذا ويدعم قوله بالاستشهاد بآي من القرآن الكريم، وهذا شيء يحمد عليه.

١٠- الحمل على المعنى في ((باب ما غير فيه عن المضاف مرة إن شئت وإن شئت عن المضاف اليه)).

جاء في شرح البيت ((وهو ما جمع بين مذكر ومؤنث فيردّ الفعل على المعنى قال جرير:

رأت مـــرّ الســـنين أخـــذن مـــني كمـــا أخـــذ الســـرار مـــن الهـــلال[٤٣]

فقال: مر السنين أخذن مني وكان يلزمه أن يقول: أخذ مني لأن المر مذكر ولكن لما كان المر من السنين ردّ الفعل على السنين كما قال تعالى ﴿إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ سورة لقمان/١٦، فأنث الفعل والمثقال مذكر ولكن لما كان المثقال من الحبة ردّ الفعل على الحبة، وهذه حسنة له بربط السبب بالمسبب.

١١- وقال في (باب رد الفعل الاول على الثاني والثاني على الأول) مستنداً على الكثرة في كلام العرب وعلى التعليق في قول قيس بن الخطيم:

نحـــن بمـــا عنـــدنا وأنـــت بمـــا عنـــدك راضٍ والـــرأي مختلـــف[٤٤]

فقال راضٍ والوجه راضون لأنه جمع ولكن الأول معلق بالثاني بمعنى أنت راضٍ بما عندك ونحن على التعليق ومثله كثير في كلام العرب.

وقول الآخر:

رمـــاني بـــأمر كنـــت منـــه ووالـــدي بريئـــاً ومـــن أجـــل الطـــويِّ رمـــاني[٤٥]

وكان الوجه أن يقول: كانت منه ووالدي بريئين لأنهما اثنان ولكن معلق بالأول فحذف خبر الأول.

١٢- الاستشهاد بالقرآن الكريم والاستناد على السماع في شرح أبيات سيبويه، وهذا يمثل المذهب الكوفي في باب((رد الفعل على الثاني والثاني على الأول)).

إني وأنـت علـى مـا كـان مـن حـدث متفقـــان كـــذاك القـــوس والقهـــر

على معنى أنا وأنت ثم أتى بخبرين. قال وسمعت يونس بن حبيب[٤٦] يقول: سمعت بعض الطهويين يقولون: فليتنا وهما على المبتدأ لأن كل مبتدأ مرفوع يذهب به مذهب المبتدأ ويعطف عليه بالرفع ومما نطق به القرآن الكريم قوله - عزّ وجلّ- ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ سورة الضحى/٣، الثاني معلق بالأول ومعناه وما قلاك.

١٣- وقال في موضع آخر في قوله تعالى ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾ سورة الأحزاب/٣٥، الثاني معلق بالأول ومعناه والله أعلم، وهذا يعني عدم الجزم في تأويل الآية

١٤- باب اضمار الهاء

تقول في النكرة: رجل ضربت: بنية الهاء ضربته، فنجد ابن النحاس شرح وينقد في البيت الآتي:

وخالد يحمد أصحابه بالحق لا يحمد بالباطل[٤٧]

على معنى يحمده أصحابه وعلى هذا القياس تقول: زيد كلمت، ترفع زيداً على نية الهاء، وليس بالجيد، وهنا نجد يعود الشارح الى المنهج البصري الذي يعتمد على القياس، ويستشهد بقول يونس قائلاً: وذكر يونس بن حبيب أنهم يقولون: زيد ضربت ينوون الهاء في المعرفة كما ينوونها في النكرة جيد كثير فإن قلت: الرجل ضربت والفرس ركبت كان كلاماً رديئاً الا على البيت الذي أنشدت وهو قليل، وفي ذلك اشارة الى الضرورة الشعرية، ثم يذكر السبب بقوله: وانما جازت نية الهاء في النكرات ولم تجز في المعارف لأن النكرة أشد تمكناً من المعرفة وهي أصل وفي ذلك اشارة الى القاعدة النحوية التي هي محل القياس وما يخالفها يستعمل فيه التأويل.

١٥- في باب (تفريق المضاف والمضاف اليه) ذكر أبو جعفر النحاس لفظ

التأويل مصرحاً به في شرح أبيات سيبويه:

قال ذو الرمة:

كـــأن أصـــوات، مـــن ايغـــالهن بنـــا أواخـــر المـــيس أصـــوات الفـــراريج[٤٨]

تأويل الكلام: كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريج من ايغالهن بنا.

وقال آخر:

همـا أخـوا فِي الحـرب مـن لا أخـا لـه إذا خـــاف يومـــاً نبـــوةً فـــدعاهما[٤٩]

تأويل الكلام:

هما أخوا من لا أخ له في الحرب

وقو الآخر:

لمـــا رأت ســـانيد مـــا اســـتعبرت للّه در اليـــوم مـــن لامهـــا[٥٠]

تأويله: لله در من لامها اليوم.

١٦- يشير ابن النحاس الى اللغات و أقوال الآخرين مع التأويل في شرح الأبيات بقوله: إن بعض العرب يضيفون الى الصفات كما يضيفون الى الأسماء إذا نأت الاسماء عن الذين يضيفون اليها، كما قال:

يـــا ســـارق الليلـــة أهـــل الـــدار

فقال: يا سارق الليلة فأضاف الى الليلة حيث جاوزت الليلة الاسم الذي أضيف اليها، وأما الخليل فإنه أنشدني ((يا سارق الليلة أهل الدار)) على تأويل يا سارق أهل الدار الليلة فهما لغتان: يا سارق الليلة أهل الدار لغة بني تميم، ويا سارق الليلة أهل الدار لغة قيس.

وقال آخر:

رب ابـــن عـــم لســـليمى مشـــمعل طبـــاخ ســـاعات الكـــرى زاد الكســـل[٥١]

قال ابن النحاس: ((على تأويل طباخ زاد الكسل في ساعات الكرى فهم يضيفون وأن فرقوا بين المضاف والمضاف اليه))[٥٢].

١٧- واحياناً يقول ابن النحاس(هذا حجة) في ((باب ما جرى من الاسماء مجرى المصادر)):

ألم تـــرني عاهـــدت ربي وإنّـــني لـــيس رتـــاج قائمـــاً ومقـــام[٥٣]

حجة لقوله: قائماً والمعنى أنه يقول: عاهدت ربي بمكة أي نذرت نذراً والرتاج الباب.

الخاتمة ونتائج البحث:

١- خلط ابن النحاس بين المذهب الكوفي والمذهب البصري في شرح أبيات سيبويه.

٢- استعمل ابن النحاس التأويل مصرحاً به في شرح بعض أبيات سيبويه.

٣- استعمل ابن النحاس الى جانب التأويل مصطلحات أخرى منها (هذا حجة، والوجه، التقدير الإعرابي بإضمار بعض الضمائر وتقدير المحذوف.

٤- يستشهد بآي من القرآن الكريم في شرح ما يذهب إليه.

٥- يشير الى أقوال النحويين ومنهم يونس ابن حبيب.

٦- يشير الى لهجات العرب ومنها لهجة قيس وتميم وقد سمّاها باللغات.

٧- يورد الشرح وقول الآخر ثم يسرد رأيه قائلاً: وهذا عندي جيد، وهذا عندي رديء.

٨- يشير الى الشهرة وكثرة الاستعمال بقوله (ومثله كثير في كلام العرب) وفي ذلك اشارة الى السماع المعتمد عليه عند الكوفيين.

٩- احياناً يذكر بعض الألفاظ منها (الحمل على المعنى، والتعليق).

١٠- يخرج عن القاعدة النحوية في تأويل بعض الأبيات مثل عمل(لم، ولن) والربط بينهما في قول الشاعر (فلن أنفكْ)، مع وجود الفارق بين

النصب والجزم.

١١- يفسر بعض المسائل التي ترد في بعض الأبيات صوتياً من مثل قوله: ((جعل النون والميم) اختتين في قول الشاعر(يوم غين) و(يوم غيم)

١٢- يكتفي احياناً بالإشارة بقوله: (هذا من لغته).

١٣- مع ان ابن النحاس بصري المذهب فقد استعمل المذهب الكوفي بقوله مرة (وهذا قياس)، وقوله (هذا كثير في كلام العرب).

١٤- يتضح لنا أن مصطلح التأويل قديماً حديثاً، فقد ارتبط بالتفسير في تأويل بعض الآيات القرآنية بحمل اللفظ على غير ظاهره لتستقيم دلالته، وارتبط عند البلاغيين بالاستعارة والمجاز العقلي والمجاز اللغوي، مع اشارة البلاغيين الى الفرق بين التأويل والمجاز، وعند النحويين وهو موضوع بحثنا فقد ارتبط التأويل بالقاعدة النحوية، وما يخالف القاعدة النحوية يستعمل فيه التأويل، وأكثر ما يكون ذلك عند البصريين الذين يعتمدون على القياس والقاعدة، أما الكوفيون فيعمدون على السماع وكثرة الاستعمال فلا يكثر عندهم التأويل.

هوامش البحث

(١) لسان العرب، ابن منظور: ٣٢/١١.
(٢) ديوان الأعشى الكبير: ١١٣، السُقاب: ابن الناقة.
(٣) لسان العرب، ابن منظور: ٣٢/١١.
(٤) لسان العرب، ابن منظور: ٣٢/١١.
(٥) مجمع الزوائد، الهيثمي: ٤٤٩/٩.
(٦) الدعاء، الطبراني: ١٩٣.
(٧) نصب الراية، الزيلعي: ١٣١/٢.

(٨) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٣٢/١١.
(٩) سورة النساء/ ٥٩، آل عمران/٧ وغيرها.
(١٠) سورة الفجر/١٤.
(١١) المثل السائر، ابن الأثير: ٥٠/١.
(١٢) سورة الاسراء/١١٠.
(١٣) دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٢٨٢.
(١٤) المزهر، السيوطي: ٢٠٤.
(١٥) خزانة الأدب، الغدادي: ٤٠٣/٢.
(١٦) ينظر: التأويل النحوي في القرآن الكريم، عبد الفتاح الحموز: ١٥/١.
(١٧) الخصائص، ابن جني:١٣٤/٢، وينظر: مفهوم التأويل النحوي، محمود الجاسم (مقالة):مجلة جذور ج٦، مج٣، ٤٤٢.
(١٨) سر صناعة الاعراب، ابن جني: ٨٢.
(١٩) سورة النساء/٩.
(٢٠) سورة يوسف/١٧.
(٢١) مغني اللبيب، ابن هشام: ٣٤٧/١، وينظر: شرح شذور الذهب، ابن هشام: ٣٦٢.
(٢٢) شرح قطر الندى، ابن هشام: ٢٤٢- ٢٤٣.
(٢٣) رسالة المباحث المرضية المتعلقة بـ(من) الشرطية، ابن هشام: ٣٥.
(٢٤) رسالتان في اللغة، الرماني: ٤١.
(٢٥) اللامات، الزجاجي: ٤٧.
(٢٦) شرح ابن عقيل: ٢٣٢/٢.
(٢٧) الفصول المفيدة في الواو المزيدة، العلائي الدمشقي: ٢٤٤.
(٢٨) ينظر: التأويل النحوي عند ابن هشام الانصاري، ليث فهيّر:١٥ (اطروحة دكتوراه).
(٢٩) ينظر: مفهوم التأويل النحوي، محمود الجاسم (مقالة): مجلة جذور ج٦،مج٣، ٤٤٢، التأويل في العربية بين القديم والحديث (مقالة) مجلة الثقافة والتراث، محمود حسن الجاسم: ١٥.
(٣٠) ظاهرة التأويل في الدرس النحوي بحث في المنهج لعبد الله بن ختران (مقالة): صلاح الدين صالح حسن:١٥، مج ١٣،ع٤،٤٠٧.
(٣١) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٩٩/١.
(٣٢) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان: ١٠٠/١.
(٣٣) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان: ١٠٠/١.
(٣٤) ينظر: كتاب سيبويه: ٤٠/٥، شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٣٥، المحقق: د. زهير غازي زاهد، الشاهد لقيس بن زهير

(٣٥) ينظر: شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٣٥، المحقق: د. زهير غازي زاهد.
(٣٦) شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٣٦- ٣٧.
(٣٧) شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٣٧.
(٣٨) شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٣٧ الشاهد لأبي خراش الهذلي: ١٢١٩/٣.
(٣٩) الشاهد للربيع بن ضبع الفزاري، خزانة الأدب، البغدادي:٣٠٧/٣، شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٣٨- ٣٩.
(٤٠) الشاهد لخداش بن زهير، ينظر: خزانة الأدب البغدادي: ٦٦/٤، شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٣٨.
(٤١) الشاهد لرجل من عبس: كتاب سيبويه: ٦٧/٥، شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٣٩.
(٤٢) كتاب سيبويه:٣٢/٥، شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٤٣.
(٤٣) ديوان جرير:٤٢٦، شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٤٣، ٤٤.
(٤٤) شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٤٥.
(٤٥) كتاب سيبويه: ٧٠/٥، شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٤٥.
(٤٦) شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٤٧.
(٤٧) شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٤٨.
(٤٨) ديون ذي الرمة: ٧٦، شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٥٠.
(٤٩) كتاب سيبويه: ٦٢/٥،شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٥٠.
(٥٠) شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٤٨.
(٥١) ديوان الشماخ: ٣٨٩، شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٥١.
(٥٢) شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ٥١.
(٥٣) شرح أبيات سيبويه، ابن النحاس: ١٠٣.

قائمة المصادر والمراجع

١- التأويل النحوي في القرآن: الدكتور عبد الفتاح الحموز، الرياض، ١٩٨٤م.

٢- خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق: عصام شعيتو،ط١،الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، ١٩٨٧.

٣- الخصائص: ابو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، سلسلة كنوز التراث، بغداد، ١٩٩٠م، د. ط.

٤- الدعاء: سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية - بيروت،ط١،، ١٤١٣هـ.

٥- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، ت ٤٧١هـ، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر، (د. ت).

٦- ديوان الأعشى الكبير: ميمون بن قيس الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد حسين، الجماميز، المطبعة النموذجية.

٧- ديوان جرير بن عطية: تحقيق: نعمان أمين طه، ط٣، دار صادر، بيروت.

٨- ديوان ذي الرمة: شرح أحمد بن حاتم الباهلي، تحقيق: عبد القدوس أبي صالح، ط١، بيروت، ١٩٨٢م.

٩- رسالتان في اللغة: أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الناشر: دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان، ١٩٨٤م.

١٠- رسالة المباحث المرضية المتعلقة بـ(من) الشرطية : عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام المصري، تحقيق: د. مازن المبارك، ط١، الناشر: دار إبن كثير - دمشق، ١٩٨٧م.

١١- سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، ط١، دار القلم - دمشق، ١٩٨٥.

١٢- شرح أبيات سيبويه: أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٣- شرح أشعار الهذليين: صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، حققه: أحمد فراج، وراجعه: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، لا ط، لات.

١٤- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام، تحقيق: عبدالغني الدقر، ط١، دمشق، ١٩٨٤.

١٥- شرح ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمذاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،ط٢،الناشر: دار الفكر - دمشق، ١٩٨٥.

١٦- شرح قطر الندى وبل الصدى: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري – القاهرة، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد،ط١١، ١٣٨٣ه.

١٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت - ١٤١٢هـ

١٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور،ط١،دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٨.

١٩- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة المدني، القاهرة.

٢٠- الفصول المفيدة في الواو المزيدة: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيلكلدي بن عبدالله العلائي الدمشقي الشافعي، تحقيق: د. حسن موسى الشاعر،ط١،الناشر: دار البشير - عمان، ١٩٩٠

٢١- الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه (ت١٨٠هـ)، علق عليه: أميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

٢٢- كتاب اللامات، لابي القاسم الزجاجي (ت٣٣٧هـ) تحقيق الدكتور مازن المبارك، دمشق، ١٩٦٩م..

٢٣- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي، ت ٧١١هـ، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٢، (د.ت).

٢٤- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الاثير (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: دكتور احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، مصر ١٩٦٠ - ١٩٦٢م.

٢٥- نصب الراية لأحاديث الهداية: عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي، تحقيق: محمد يوسف البنوري، دار الحديث - مصر، ١٣٥٧هـ.

٢٦- وفيات الأعيان: ابن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، مطبعة لبنان، دار الثقافة.

الرسائل والمقالات:

١- التأويل في العربية بين القديم والحديث: د. محمود حسن الجاسم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، دولة الامارت العربية المتحدة، العدد٧٩، شوال ١٤٣٣هـ - ايلول ٣٠١٢م.

٢- التأويل النحوي عند ابن هشام الأنصاري: ليث قهيّر عبد الله الحياني الهيتي، اشراف: د. طه محسن،(اطروحة دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة بغداد،١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٣- مفهوم التأويل النحوي: محمود الجاسم، مجلة جذور، الجزء السادس، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.